الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامه
بغداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧١ م | المجلد السابع والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	كتابات الحضر	فؤاد سفر
١٥	مسلّة من بدرة	فؤاد سفر
٢٥	النياندر تاليون وتراثهم الثقافي	الدكتور عبدالجليل جواد
٣٥	التنقيب في تل الصوان (الموسم الخامس) شتاء ٦٧ـ١٩٦٨	الدكتور بهنام أبو الصوف
٤٥	مجموعة قبور تل قاليچ اغا ـ اربيل	شاه الصيواني
٥٣	رحلة اينانا الى أريدو	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٦٣	نتائج أعمال الصيانة والتحريات والتنقيب في زقورة عقرقوف (الموسم ١٠ـ١٣)	عبدالاله عبدالرزاق الجميلي
٩٩	دراسة تحليلية لنصوص مسمارية من العهد البابلي القديم	الدكتور اكرم الزيباري
١٠٩	لماذا سقطت الدولة الآشورية ؟	الدكتور سامي سعيد الاحمد
١٢٩	المدائن (طيسفون) ١٩٧٠ـ١٩٧١	الدكتور طارق مظلوم
١٤٧	أقدم درهم معرب للخليفة عبدالملك بن مروان	الدكتور عيسى سلمان
١٥٣	منطقة واسط (دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الادبية)	الدكتور صالح أحمد العلي
١٨٥	دراسة تحليلية واحصائية للالقاب الاسلامية	الدكتور محمد باقر الحسيني
٢٣٣	العملة الاسلامية في العهد الايلخاني	السيدة مهاب البكري
٢٦١	رأي في موضع قبر المتنبي	الدكتور عادل البكري
٢٦٥	المدينة والاثار المعمارية	الدكتور حيدر كمونة

التقارير والانباء والمراسلات

٢٧٩	آثار احرزها المتحف العراقي	كمال منصور عباده
٢٩٣	التنقيبات الاثرية في لارسا (الموسم الخامس) ١٩٧٠ (مترجم)	جميل حمودي
٣٠١	معلومات جديدة عن تاريخ لارسا (سنكره) (مترجم)	الدكتور وليد الجادر
٣٠٥	صناعة الجلود في وادي الرافدين (مترجم)	الدكتور وليد الجادر
٣٢١	نظرات في كتب آثارية حديثة	مؤيد دمرجي

لماذا سقطت الدولة الآشورية

بقلم الدكتور سامي سعيد الاحمد
كلية الاداب ـ قسم التاريخ
جامعة بغـداد

في الوقت الذي أتى فيه سقوط الامبراطورية الرومانية تدريجيا ونتيجة عوامل متعددة توافرت لعصور كثيرة كان سقوط الدولة الآشورية نسيا مفاجئا للغاية وبعد سنوات قلائل من موت ملك قوي فيها (اشور بانيپال (Ashurbanipal) الذي وطد دعائم ملكها حسب ما يظهر بعد ان حارب لذلك في كل الجهات منتصرا كما تنص على ذلك حولياته التاريخيـــة • واذا كان الكثير من الباحثين قـد شغلوا انفسهم بأسباب سقوط روما واضمحلال امبراطوريتها محبذين سببا واحدا او أكثر في اغلب ما عرضوه من وجهات النظـــر (مبتدئين من القديس اوغسطين Saint Augustine حتى الوقت الحاضر) فان الاسباب التي أدت الى افول نجم الاشوريين وسرعة سقوط دولتهم قد اهملت من قبل المعنيين بالدراسات الآشورية أو الحضارات بصورةعامةرغم اهميتها البالغة وعظم الدور الذي لعبه الاشوريون انفسهم على مسرح تاريخ الشرق الادنى • ولنا ان نعترف بان اي بحث من هذا القبيل سوف تكون فيه صعوباته لعدم توافر الدليل الكافي وسوف لا يكـــون الباحثون فيه على نفس الاحاطة بظروف الدولة وملابسات أمورها الداخلية والخارجية كمـا في دراسة ظروف الامبراطورية الرومانية نظرا لبعد المسافة زمنيا • فلقد سقطت آشور في الوقت الذي لم يكن لروما شأن يذكر بعد • علما بان كثرة التحريات الاثرية في كافة الارجاء التي بسطت آشور عليها سيطرتها وخاصة في الطبقات الآشورية فيها سوف يكون له اثر كبير في زيادة الدليل • هذا وان أهم مصدر نعتمد عليه فيما يخص بلاد آشور خاصة في العصور المتأخرة من تاريخهـــا الطويل هي الحوليات (Annals) وهذه لا يمكن الاعتماد عليها بصورة كلية والأخذ بكل ما جاء

فيها من الامور مآخذ الحقيقة • فغرض الحوليات الاساسي هو تمجيد الملوك وتعظيم اعمالهم ومنجزاتهم ليس الا • فلا نقرأ فيها الا اخبار انتصارات تليها انتصارات • اما خسارة آشور لجزء من مقاطعاتها أو أنباء اندحارات منيت بها جيوشها فهي أمور لا نجد لها ذكرا في الحوليات وليس هناك أي طريق لمعرفته الا عن طريق الاستنتاج • فعندما نجد مثلا الملك يغزو المقاطعة اكثر من مرة على التوالي او يغزوها الملك الجديد بعد تسلمه مقاليد الملك نعرف آنذاك ان الملك في الحالة الاولى لم يكن غزوه المبدئي لها ناجحا وانها كانت في ثورة عند اعتلاء الملك الجديد العرش • او من التناقضات الفظيعة التي تقرأها في حوليات الملك الواحد • ولكن بدراسة كافة ظروف الامبراطورية سواء اكانت الداخلية منها ام الخارجية واسباب كثرة الحروب التي خاضوها قد ندرك العوامل الاساسية التي ادت الى سقوط الدولة الآشورية وبتلك الصورة المفاجئة • فالمشكلة البابلية دون شك كانت مسمارا في نعش الامبراطورية الآشورية • وقد حاول كثير من الملوك الآشوريين وعلى الاخص جميع ملوك العصر الآشوري المتأخر حل أزمتها المستعصية ولكن دون جدوى • فكل واحد منهم على التوالي قدم الحل الذي رآه ناجعا ومنهم من جرب أكثر من حلٍ واحد خلال فترة حكمه ولكن مصيرها جميعا كان الفشل • فلقد حكم الكاشيون (Kassites) بلاد بابل ردحا طويلا من الزمن صارت البلاد فيه مسرحا للمنافسات الحادة والمخاصمات الشديدة بين الشمال والجنوب صاحبتها حروب سجال • ولم تكن المنافسة في العصر الذي أعقب الحكم الكاشي أخف حدة منها في ذلك العصر نفسه • اما في فترة السيطرة الآشورية التي اتت منذ اعتلاء تجلات بلاصر الثالث العرش الآشوري مغتصبا حوالي سنة ٧٤٧ ق•م• فقد حاول الملوك الآشوريون والذين لم تكن اطماعهم في بلاد بابل أقل من اطماع اسلافهم ان لم تكن أكثر بكثير ، اقناع أهل بابل بان يتمتعوا باستقلال ذاتي في نطاق الامبراطورية الآشورية وان يحصلوا على ما يريدون من حرية ولكن ضمن الحكم الآشوري• اما جواب أهل بابل فلم يكن الا الرفض حيث لم يرضوا عن الاستقلال التام وعدم التدخل الآشوري في شؤونهم بديلا • فمن اختلاف هاتين الوجهتين في النظر ، وعدم استعداد اي فريق للتنازل والتراجع بدأ الصراع العنيف ، فالقبائل الكلدانية والآرامية في العراق الجنوبي قد أشهرت سلاحها في وجه كافة الحلول التي عرضها مختلف ملوك العصر الآشوري المتأخر لحل مشكلتهم المستعصية • وكان زعماء هذه القبائل يجدون في عيلام كل مساعدة وعون • فعيلام لم تر من مصلحتها ان يتكون اتحاد من شمال العراق وجنوبه لانه بلاشك سيكون مهددا لكيانها وخطرا على بلادها ولذلك اخذت في مساعدة القبائل في جنوب العراق ووسطه بالسلاح والرجال وفتحت أبوابها لزعمائها الهاربين من مطاردة الآشوريين • ولم تنفع تهديدات الملوك الآشوريين لعيلام ولا ضربهم اياهم في عقر دارهم في سبيل ايقاف مساعدتهم لرجال القبائل الثائرة في وجه الاحتلال الآشوري • فالملوك الآشوريون المتأخرون وعلى

الاخص منذ زمن الملك سرجون الثاني Sargon II (٧٢٤ - ٧٠٥ ق٠م٠) اظهروا ولعا متزايدا بجنوب العراق وبمعالم الحضارة البابلية على وجه الخصوص ، وكم كان يلذ لهم ان يربطوا انفسهم بالتاريخ البابلي ورجالاته واحداثه • فسرجون الثاني كان يتشبه بسرجون الاول ملك اكاد الى الحد الذي اخذنا نلحظ حركة احياء لكل ما يتعلق بسرجون الاكدي الذي حكم في حوالى الف وثمنمائة سنة قبل شريكه الآشوري في الاسم ، وقد سمى السيد أي • تي • اولمستد (A.T. Olmstead) بحق هذه الحركة بالنهضة السرجونية (Sargon Renaissance) [1] • فكما كان سرجون الاول الاكدي قد بنى عاصمة جديدة لملكه فقد عمل سرجون الآشوري على انشاء عاصمة حديثة له اسماها دور شروقين (Dur Sharrukin) أي قلعة سرجون • ومن أجل ان يقنع الكل على مدى مطابقة ومشابهة اخداث حكمه وخطواته تلك لسابقه وقرينه بالاسم فقد أمر النسّاخ والكتبة الملحقين في بلاطه ان يدونوا مقالة يضمنوها حدود امبراطوريته ويضعون بدل اسمه اسم سرجون الاكدي • ومن زمن هذا العاهل وجدت مؤخرا كتابة في اللغتين الآشورية (وهي لهجة من الأكدية) والسومرية[2] ولو ان الرقم المكتوبة بهاتين اللغتين في اللوح الواحد قد جاءتنا بكثرة من العصور الاكدية والعصر البابلي القديم (Old Babylonian Period) (عصور اسن-لارسة وسلالة بابل الاولى (Isin-Larsa Dynasty and First Dynasty of Babylon)

الا انها توقفت لقرون كثيرة قبل احيائها زمن هذا الملك الآشوري • اما الملك سنحاريب ٧٠٥-٦٨١ ق٠م (Sennacherib) فقد ربط نسب عائلته البعيد بالابطال الخرافيين في الاساطير السومرية امثال خومبابا (Humbaba) وأنكيدو Enkidu والملك النصف الاله كلكامش Girgamish •

وولع والده وخليفته أسر حدون (Esarhaddon) ولعا شديدا بالتعاويذ ونصوص الفأل Omen Texts واستشارات الأرباب القديمة (Oracles) وارسل من يجمعها له من مختلف معابد جنوب العراق ووسطه • ويشهد الادب الديني من عصر هذا الملك باحياء الآراء القديمة والولع في استنساخ أدعية عريقة في القدم • وقد وجد الكثير من هذه النسخ وعليها اسم اسرحدون في الحاشية[3] • وان اكتشاف لوحة باللعبة المسماة بذات الثماني والخمسين ثقبا من عصر الملك اسرحدون هذا ، وان كانت موجودة في عصر المملكة الوسطى بمصر ، الا انها كانت شائعة في بلاد بابل من حوالي القرن الثالث عشر ق٠م٠ تدلنا على اتجاهات

(1) A.T. Olmstead, *Western Asia in the Days of Sargon of Assyria*, 722 705 B.C., (New York, 1908), p. 27.

(2) ND 3474, D.J. Wiseman, "The Nimrud Tablets", Iraq XII, (1950); C.H. Johns. *Assyrian Deeds and Documents*, (London, 1898-1923), III, p. 413.

(4) /. Ebeling, *Keilinschriftexte aus Assur Religiosen Inhalts*, (Leipzig, 1915), Ersler Heft, no. 14 & 16.

هذا الملك • وكان ولع واهتمام الملك آشور بانيبال بالحضارات البابلية اكثر من سابقيه • فقد اسس في عاصمته نينوى Nineveh مكتبة جمع فيها او أمر حسب ما يظهر بنسخ كل ما وجدوه في المعابد الجنوبية من النصوص القديمة الباحثة في شتى المواضيع(٥) • وعمر هذا الملك اكثر المعابد في جنوب العراق وادعى لنفسه معرفة الكتابات المسمارية وحتى القديمة جدا منها كالسومرية • فأتانا المزيد من النقوش المكتوبة باللغتين الأكدية والسومرية • واتخذ اخوه شمش شموكين (Shamash-Shum-ukin) ملك بابل لقب ملك أمانو (Amnanau) وهو لقب اتخذه سن كاشد (Sin-Gashid) احد ملوك الوركاء الاوائل • وكانت أدعية الملك البابلي هذا وأخيه الملك الآشوري تحوي بعض العبارات التي كانت تستعمل في الأدعية من العصر البابلي القديم واسقطت من الاستعمال منذ انتهاء ذلك العصر(٦) • كل هذه الظواهر تصور مدى ولع الملوك الآشوريين المتأخرين بالحضارة البابلية وحبهم لها مع رغبتهم الشديدة في السيطرة على بلاد بابل وحفظها مربوطة بالعجلة الآشورية • الى جانب شعور ملوك آشور وعلى الاخص ملوك العصر السرجوني بان أكثر معالم المدنية الشمالية ما هي في الواقع الا بابلية جسما وروحا • وبعبارة أخرى ليس هناك طابع حضاري خاص يمكن به تمييز الآشوريين وان صبغة حضارتهم البابلية كانت السبب الرئيسي في تحمسهم لبسط نفوذهم على بلاد بابل من جهة ولعمل نوع من التوحيد بين القطرين من جهة اخرى حتى يظهروا للعالم أو ليقنعوا انفسهم بان الحضارة في هذه البلاد واحدة غير مفصولة عن بعضها بحواجز طبيعية مانعة ومحكومة من قبل حكومة مركزية وتحت تاج واحد مع كون الشعبين يتكلمون لغة واحدة (الاكديه) مع بعض الفروق الطفيفة بين أهل الشمال والجنوب والدين واحد مع تأكيدات على آلهة معينة في كل من آشور وبلاد بابل(٧) •

وأما زمن الامبراطورية الآشورية المتأخرة فالشعب البابلي حسب ما تدلنا المصادر الحالية قد وصل الى حد بالغ من العقم بحيث لا نسمع منه الا حياكة المؤامرات على القوى الحاكمة وانباء غزو القبائل واحتلالها ممتلكات اهالي المدن الرئيسية • فالقبائل الكلدانية والآرامية التي

---

(5) A. Leo Oppenheim, "Assyriology Why and How?", Current Anthropology, no. I, (1960), p. 312; M.J. Menant, *La Bibliotheque du Palais de Ninive*, (Paris, 1880); C. Bezold, *Catalogue of the Cuneiform Tablets of the Kouyunjik Collection of the British Museum*, (London, 1889-1899); C. Bezold. Bibliotheque *Schriftenwesen in alten Ninereh*, Centralblatt fur Bibliothekensen, (Juni, 1904), pp. 257-277.

(6) C. Lehmann, *Shamashshumkin*, (Leipzig, 1898), p. 89, Second part, p. 6; George Barton, *Royal Inscriptions of Sumer and Akkad*, (New Haven, 1929), p. 332, no. 2345; Sami Said Ahmed, *Southern Mesopotamia in the Time of Ashurbanibal*, (Paris, the Hague, 1968), pp. 156-159.

(7) Sami Said Ahmed, "Studies in the Akkadian Language". International Language Review, Vol. 13, (1966), no. 46-7. p. 16, 2; Sami Said Ahmed, Characteristics of Ancient Mesopotamian Religious Thought, AMEZQR, vol. LXXIX, (1967), no. 3, pp. 123-124.

دخلت السهول الوسطى والجنوبية كانت تحاول فرض قوتها واظهار صولتها وقدرتها البالغة على السيطرة • فسيطرة الآراميون على اكثر مرافق التجارة ليس في بلاد بابل فحسب بل وفي بلاد آشور نفسها • ولم يكن أهالي المدن البابلية من القوة بحيث يتمكنون بها من وضع حد لهجمات هذه القبائل وتصرفاتها • واذا ما تمكن الملوك الآشوريون من اخضاعهم لفترات معينة فانهم قد وجدوا متسعا من الوقت وحرية بالغة في نهب المدن البابلية المفتوحة • ولعبت عيلام دورا ليس بالقليل في سياسة العراق الجنوبي عن طريق مساعدة القبائل الكلدانية بكل الوسائل • وبعد اعتلاء الملك تجلات بلاصر الثالث العرش الآشوري صرنا نسمع أكثر عن الصراع الآشوري ـ الكلداني للسيطرة على بلاد بابل • ويظهر ان تجلات بلاصر الثالث قد تمكن من اخضاع بلاد بابل كلها تحت حكمه واعلان نفسه ملكا عليها باسم پولو (پول) (Pulu) [8] • ولنا ما يحملنا على الاستنتاج بان ابن وخليفة تجلات بلاصر الثالث (شلمانصر الخامس (Shalmanessar V) والذي اتبع سياسة والده واتخذ اسم اولولايا (Ululaia) في بلاد بابل ، قد فشل في حفظ المنطقة الوسطى والجنوبية مستقرة ابّان حكمه • حيث يظهر ان مردوخ ـ أپال ـ اددينا (Marduk-Apal-Iddina) والذي يسميه العهد القديم مردوخ ـ بلادان ـ (Marduk-Baladan) كان قد قوى مركزه طيلة فترة حكم شلمانصر الخامس بحيث انه ما ان تربع سرجون الثاني على العرش الآشوري حتى اعلن مردوخ بلادان ملكيته في الجنوب • وقد ساندته عيلام في كل ذلك • ويقى يحكم بلاد بابل لبضع سنوات • واذا اخذنا ما يقوله آشور نفسها سرجون الثاني في حولياته مأخذ صدق فان القبائل الكلدانية في تلك الفترة (اي التي حكم خلالها مردوخ بلادان) قد اثرت تأثيرا سيئا في اقتصاديات المدن البابلية وصودرت الكثير من اراضي نبلاء أهالي البلاد الى الحد الذي رحب به المواطنون البابليون بجيوشه المحررة عندما تحركت نحوها[9] • وان الدور الذي لعبه كهنة المعابد البابلية في هذه الفترة بالذات لم تذكره لنا المصادر ولابد وانه كان قويا لما نعرفه عن الدور الكبير الذي لعبه الدين آنذاك في المجتمع البابلي ومركز الكهنة السامي فيه • ولكن يمكننا ان نفرض بانهم ربما أيدوا الآشوريين على أساس سكوت المصادر البابلية عن ذكر دورهم الى جانب كثرة ما كان يقدمه الملوك الآشوريون للمعابد الآشورية من الأموال وتعميراتهم المستمرة لها[10] • وجلب سنحاريب عليه نقمة ما يسمى بالحزب الديني ـ العسكري في بلاد آشور بهدمه لمدينة بابل سنة ٦٨٩ ق•م• وتسليطه مياه نهر الاراختو (Arakhtu) (فرع من نهر الفرات) عليها والذي ربما يعد من الاسباب التي أدت الى مصرعه • والواقع اننا اذا ما قارنا بين حوليات سنحاريب وحوليات الملوك الآشوريين ممن سبقه مباشرة ، نلاحظ قلة الاهتمام بالمؤثرات البابلية

(8) Sami Said Ahmed. *Southern... op. cit.* p. 51 & fin. 17.

(9) D.D. Luckenbill. *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, (Chicago, 1927). Vol. II, no. 68.

(10) *ibid*, nos. 70, 646, 656, 797, 883. etc.

سواء الدينية منها أو الثقافية • اما اسرحدون فقد اتبع سياسة تختلف اختلافا كليا عن سياسة ابيه هذه وبدأ في تعمير مدينة بابل ومعابدها • وعزا البعض كل ذلك الى وقوعه تحت تأثير ما يسمى بالحزب الديني في آشور • واستتب السلام في ربوع بلاد بابل طيلة ايام حكمه بالوقت الذي كان فيه الكلدانيون يجمعون قواهم • ويمكن ارجاع سبب السلام في جنوب العراق طيلة ايام حكم اسرحدون الى انشغال عيلام نفسها في مشاكلها الداخلية التي زادت في تلك الفترة بالذات • فقد شعرت عيلام آنذاك بتزايد قوة القبائل الميدية الأمر الذي جعل بعض ملوكها مثل خومبان خالتاش (Humban-Haltash) يتقرب من آشور ويرفض ايواء الزعيم الكلداني نابو ـ زير ـ كيتي ـ ليشير Nabu-Zir-Kitti-Lishir من ابناء مردوخ بلادان في بلاده[١١] • فالقبائل الكلدانية آنذاك لم تتملك القوة لكي تفرض ما تريد وتشهر السلاح في وجه الآشوريين ، دلك الذي شهرته بالسابق بمساعدة جيرانهم العيلاميين • ولكن ما ان أنهت عيلام مشاكلها حتى اسرعت لمساعدة الكلدانيين الذين بدأوا غاراتهم على الآشوريين •

فكل المحاولات والحلول التي طبقها سنحاريب لحل المشكلة البابلية باءت بالفشل الذريع ، أمثال تنصيب شخص بابلي معروف بميوله الآشورية ملكاعلى الجنوب•ثم تنصيباحد أولاده على العرش البابلي بعد ان ثار البابليون على ملكهم الوطني وخلعوه بالقوة • ولم يبق ولده حاملا لتاج سومر وأكد طويلا بل صرعته القبائل الثائرة مع الجيش العيلامي الذي انتهز فرصة دخول سنحاريب عيلام في حملته التأديبية لها فدخل سهل العراق الجنوبي • وفي موجة عارمة من الغضب لم ير سنحاريب بدا من تهديم مدينة بابل وتسليط مياه نهر الأراختو عليها ، اما سياسة اسرحدون فقد كانت قائمة على مصالحة البابليين وكسب رضاهم أولا وقد سار عليها طيلة أيام حكمه • وتشير الادلة على انه قبل ان يموت هذا الملك ترك لنا وصية فحواها انه ينصب على العرش البابلي ابنه الأكبر آنذاك من الزوجة البابلية (اي شمش شموكين) على ان يكون استقلاله في الجنوب ضمن اطار الامبراطورية الآشورية الكامل الذي أمر بأن يوضع تاجها على راس ابنه آشور بانيبال • وفي حالة وفاة ابنه ملك بابل فان ولدا آخر من اولاد اسرحدون ينصب بعده • واذا لم يوجد مثل هذا الابن فربما ولد للملك الآشوري • وفعلا وبعد ان احرق شمش شموكين نفسه بالنار التي اضرمها في قصره بعد فشل ثورته ودخول الجيوش الآشورية المنتصرة بابل سنة ٦٤٨ ق•م• عين آشور بانيبال اخيه الاصغر كنداانو لحكم بابل[١٢] • ولكن ما ان توفي أسرحدون واعتلى الاخوان عرشيهما حتى بدأت المشاكل والخلافات بينهما وازدادت حدة وتعقيدا بسرور الزمن • ويظهر ان شمش شموكين كان ذا ميول بابلية

(11) A.T. Olmslead, *History of Assyria.* (Chicago, 1923), p. 350.

(12) Sami Said Ahmed, *Southern... op. cit.*, p.

وربما ربط نفسه بالحركات التحررية الاستقلالية في الجنوب عند اعلانه عصيانه على اخيه ملك آشور سنة ٦٥٢ ق٠م٠ وكانت النتيجة ان تلاحمت قوى الشمال والجنوب وتقدمت الجيوش الآشورية لضرب ومحاصرة المدن البابلية التي قاومت مقاومة شديدة وعلى الاخص مدينة بابل ٠ وبعد حرب دامت اربع سنوات (٦٥٢ – ٦٤٨ ق٠م٠) وحصار طال امده للعاصمة الجنوبية (بابل) ذاق سكانها الامرين سقطت المدينة في ايدي الآشوريين واحرق ملك بابل نفسه وانتهى أمر الثورة البابلية دون جدوى ٠ فالشعور برغبة الاستقلال والتخلص من ربقة الاحتلال الآشوري بقي كما هو وخرج البابليون من هذه الثورة حسب ما تدل الظروف والملابسات المقبلة اكثر تصميما على النضال والكفاح حيث لم يمض ربع قرن الا وكان الجنوب قد أعلن استقلاله وتوج زعيما له (نبوبلاصر Nabopelasser) ملكا عليه ٠ فالثورة البابلية المسلحة هذه قد اضعفت آشور وانهكت قواها ٠ وعند مقارنة المدة التي صرفتها الجيوش الآشورية في اخماد هذه الثورة مع المدد التي كانت تصرفها على حروبها الاخرى نستنتج بانها اخذت مدة طويلة للغاية مما يدل على حدتها وشدتها واستبسال البابليين فيها ، فلقد أفرغت الجيوش الآشورية نفسها لها ووجهت كل قواها لحرب بلاد بابل طيلة سوات عصيانها الاربع ٠ ولو ان آشور قد خرجت منها منتصرة ، ولكنها كانت بلاشك تنزف دماً من الجراح الكثيرة التي اصابتها ٠ حيث انها لم تعد في مركز القوة ذاته بعد الانتصارات التي سجلتها ضد عيلام والقبائل العربية ٠

ونجد سببا آخر لتدهور قوة آشور وضعفها في اتساع امبراطوريتها الكبير وبعد الكثير من حدودها عن المدن التي اتخذت عواصم رسمية للامبراطورية (آشور Ashur ، كالح Caleh نمرود Nimrud)) دور شروقين ونينوى ٠ ففي الوقت الذي كانت فيه بلاد آشور نفسها تقع في الزاوية الشمالية الشرقية بالنسبة لأكثر ممتلكاتها وعلى بعد قليل جدا من القبائل الجبلية التي اذاقتها شتى انواع العذاب ، فقد امتدت ممتلكاتها الى داخل آسيا الصغرى وشملت سورية وفلسطين وجزءاً من آسيا الصغرى غربا وشمالا وحتى مصر في زمن الملك اسرحدون واشور بانيبال ٠ وقد لقى اسرحدون في اواخر حياته صعوبة كبيرة في اخضاع مصر اليه (حيث انه مات وهو في طريقه لاخماد ثورة حدثت فيها) ٠ ورغم اخماد ولده وخليفته للثورات المتعاقبة في مصر فقد استقلت هذه بعد احتلال الجيوش الآشورية لها بحوالي خمسة عشر عاما ٠ وكانت مشكلة ارسال الجيوش الى الاصقاع البعيدة عن المركز من الامبراطورية من مشاكل التعبئة الرئيسية التي واجهها الملوك الآشوريون في العصر المتأخر ٠ ولو كانت العاصمة في مركز متوسط بالنسبة لامبراطوريتهم المترامية الاطراف لهانت مشكلة النقل والتعبئة والتموين كثيرا ولاصبح الملوك على قدرة أكبر في قمع الثورات سريعا ٠ الى جانب وعورة طرق المواصلات حيث ان مسألة انشاء شبكة طرق جيدة تربط شتى

أجزاء الامبراطورية لم يخرجها الملوك الى حيز التنفيذ الا في العصر الأخميني •

واذا القينا نظرة الى حدود الامبراطورية والفعاليات الحربية على امتدادات هذه الحدود نستنتج بان القوى المعارضة للحكومة المركزية في آشور كانت شديدة ومتنوعة الاغراض والاساليب• ومن عصر الامبراطورية الآشورية المتأخرة وخاصة منذ زمن سرجون الثاني فان أمر هذه القوى المعارضة ومشكلة مواجهتها صارت عاملا مهما في تقرير السياسة الآشورية • ويعتقد البعض بانه منذ عصر هذا الملك (فيما عدا اسرحدون الذي غزا مصر) فان حروب الملوك كانت لاغراض دفاعية صرفة[١٣] • ففي الشمال كانت دولة ارارات (Urartu) تسيطر على رقعة واسعة من الارض تمتد من الشمال الشرقي حتى الشمال الغربي • وكانت كثيرا ما تتدخل في شؤون الدويلات الآرامية في سوريا وتحرضها وتدخل معها في محالفات ضد آشور ، الى جانب مساعدة عيلام على الحركات المعارضة لآشور في جنوب بابل ووسطها وتأثير مصر على الدويلات الفلسطينية لمعارضة الاحتلال الآشوري ومساعدتها اياهم بكل السبل • وفي منطقة كلكيا (Cilicia) فان مصالح دولة موشكو Mushku (فريجيا (Phrygia)) بدأت بالاصطدام مع المصالح الآشورية • فمن قبل كما يبدو كانت القوى المعادية لآشور عبارة عن قبائل واقوام غير منتظمين اما الآن (في هذا العصر المتأخر من امبراطوريتها) فقد ظهرت امامها في خطوط المواجهة دولا ذات قيمة امثال آرارات وعيلام ومصر وفريجيا لها تخطيطيات سياسية مدروسة واهداف معلومة معادية معقدة • ولكن هذه الدول الاربع سرعان ما اضمحلت ، فمصر سقطت هي نفسها في يد الآشوريين واضمحلت قوة الدول الثلاث الاخر تحت تأثيرات عوامل متعددة • وفي الوقت الذي تخلصت بهالدولة الآشوريةمن شرور هذه الدول ومقاوماتها كانت هي نفسها في وضع متردٍ للغاية واهنة القوى وسرعان ما اصبحت في خبر كان • الى جانب ظهور قوى جديدة على المسرح السياسي والعسكري للشرق الاوسط أمثال الميديين ومصر في نهضتها الجديدة والكلدانيين وليديا • فمصر عملت على تدعيم قوتها العسكرية حالا بعد اعلان استقلالها عن الآشوريين وهيالدولة الوحيدةالتي اقدمت بعد سقوط نينوى على نجدة الآشوريين • وفي الوقت الذي اوقع به سرجون الثاني خسائر فادحة في صفوف قوى دولة آرارات وقهرها في عقر دارها في حملته الثامنة المعروفة فان ارارات نفسها اخذت بعد سنين قلائل تخطب ود الآشوريين لمساعدتهم في وضع حد لهجمات القبائل البربرية أمثال السيميريين (Cimmerians) والسيثيين (Schythians)

الذين أخذوا يغيرون بعنف وشدة على حدودها الشمالية والغربية • وبنفس الوقت كانت القبائل السيميرية تعبث في الاراضي الفريجية فسادا مهددة كل آسيا الصغرى وحتى بعض المقاطعات

(13) *Cambridge Ancient History*, Vol, III, editors, J.B. Bury, S.A. Cook, and F.E. Adcock, (New York, 1929), p. 442,

الآشورية في شـــمال سوريا ايام اشور بانيبال بالخطر[١٤] •

وليس من السهل على دولة صغيرة بشعب قليل العدد نسبيا مثل آشور آنذاك ان تحافظ على ثبات جيش كبير قوي على طول حدودها الواسعة• فمثل هـــذا الجيش وتعزيزه خاصة بالرجال سيكون عبئا ثقيلا على الدولة ومن الصعب جدا استمراره بنفس القوة والعدد خاصة وان الاغلبية العظمى من الامم التي خضعت الى الحكم الآشوري لم تشعر تجاهه برغبة في الطاعة والخضوع لذا كثرت ثوراتها وتعددت حركات عصيانها في شتى الارجاء • واذا درسنا حالة الجيش الآشوري في كافـة عصور الامبراطورية وعلى ضوء التغيرات التي ادخلت عليه بعد اعتـــلاء سرجون الثاني العرش لخرجنا باستنتاجات هامة قد تلقي اضواءً على الضعف الذي دبَّ فيـه وهو عمود الدولة الآشورية والاساس الذي تقوم عليه امبراطوريتها• فقـد كان الملوك الآشوريون بالسابق يعتمدون كليا أحيانا على ما يرسله الاقطاعيون الآشوريون من الرجـــال • وبعبـــارة أخرى كانت الدولة الآشورية تعتمد كثيرا جدا (عدا اشور ناصربال الثالث) على العنصر الآشوري وحده • ولكن في زمن سرجون الثاني بدأ استخدام مرتزقة وأسرى وعبيد في صفوف الجيش باعداد غفيرة ومن مختلف الاصناف ، فما هو الدرس الذي نستخلصه مـــن هذه الاجراءات المفاجئة المتطرفة بالنسبة لسياسات الملوك السابقين ؟ فالحقيقـــة انكشفت وصارت واضحة لكل مستطلع وهي ان الملوك الآشوريين لاقوا منذ زمن سرجون الثاني صعوبة في ايجاد العدد الكافي من الرجال الآشوريين • ولو انه ليس هناك دليل يشير الى هبوط نسبة الذكور في المجتمع الآشوري بالنسبة الى عدد الاناث • ولكن يمكننا استنتاج شيء من هـذا القبيل من شتى المصادر ، منها القانون الآشوري • فقد ذكرت الشريعة الآشورية جرائم ترتكب من قبل النساء فقط وقد احتلت النساء به مركزا يشير الى هذا الاتجاه • وان الالتجاء الى تجنيد غير الآشوريين منذ زمن سرجون الثاني لهو دليل قاطع على ما كان يلاقيـــه الملوك الآشوريون من صعوبة في الحصول على ما يكفيهم من الرجال الآشوريين • وكثرة العناصر الاجنبية في الجيش بلا شـــك تستلزم سيطرة أكثر من العناصر الآشورية وضبطاً أقوى ، بالاضافة الى علـــم القواد والملوك والى اختلاف درجـــة الحماس بين صفوف الجيش والغيرة العسكرية • على ان استخدام اشـــور بانيبال لما تبقى من جيش عيلام المندحر ، وهي عدوة الدولة الآشورية اللدود ، خير مثل لما آلت اليه مشكلة قلة الرجال في الجيش الآشوري من الخطورة[١٥] •

وان كثرة الحملات العسكرية وتتابعهـــا لاخماد الثورات المتعددة وأحيانا المتعاقبة في البلد الواحد على طول حدود الامبراطورية الواسعة وحفظ جيش دائم للحفاظ على ممتلكات هـــذه الامبراطورية من التناقض كانت تستلزم ولا بـد

---

(14) Luckenbill, *op. cit.*, nos. 779, 781, 516, 517; Lois F. Hartman, "The Cimmerian Threat to Ashurbanipal", JNES, Vol. 21, (1962), pp. 25-37.

(15) Luckenbill, *op. cit.*, II, no. 814.

استنزاف أموال طائلة وكان عبئا ثقيلا جدا على الخزانة الآشورية • الى جانب كون بلاد آشور نفسها فقيرة في الموارد الطبيعية المهمة آنذاك امثال الذهب والفضة والنحاس والحديد • فالسلاح ومعظم معداته مصنوعة من الحديد كانت آشور تستورده من الخارج وهذا يعني انه حتى المستلزمات الحربية للعنصر الاساسي الدي اعتمدت عليه امبراطوريتها وهو الجيش كانت في اراض خارجة عن حدود آشور الطبيعية • والذهب الضروري كعنصر ثمين وكذا الفضة لم يتوافرا داخل بلاد آشور • وهذه مشكلة ليست بالهينة أبدا ودفعت بالملوك الآشوريين الى الاهتمام الشديد للمحافظة على مصادر المعادن الضرورية تحت سلطانهم والاستماتة في سبيل ابقائها ضمن مناطق نفوذهم الكلية وفي ان تكون الطرق التجارية مفتوحة من والى كبادوكيا مصدر الآشوريين الرئيسي للحديد • وكانت هده الزاوية الواقعة الى الشمال الشرقي من امبراطوريتها المكان الذي كان يعتمد عليه الآشوريون أيضا في الحصول على الخيول المهمة لعرباتها وسلاح فروسيتها • وان دولة ارارات كانت في عنفوان قوتها عندما قاد تجلات بلاصر الثالث حملة ضد اراضي النامري (Namri) التي جلب منها الغنائم الكثيرة وقد أدى انتصاره عليها الى ان يواجه القبائل الميدية التي كانت آنذاك في بدء تحركاتهم وتحرشاتهم على طول الحدود الشرقية للامبراطورية[١٦] • وكانت من القبائل التي ضغطت عليها القوات الآشورية قبيلة زيكير تو (Zikirtu) التي استقرت على طول المنطقة الواقعة الى الشرق من بحيرة رزائية (Rizaiya) أو اورمية Urmia) ايام حكم سرجون الثاني والتي طالما وضعت الملوك الآشوريين في مواقف محرجة للغاية وذلك في تحالفها مع دولة ارارات بقصد السيطرة على الخطوط التجارية دون شك[١٧] • فان الاهمية الاقتصادية التي كانت لهذه المنطقة بالنسبة للامبراطورية الآشورية لابد وانها كانت كبيرة بدليل ان سرجون الثاني ظل يرسل الحملات تلو الحملات اليها من أجل اخماد حركات العصيان المتوالية فيها • وبحملته الثامنة تمكن من كسر شوكة دولة ارارات وأمن بذلك لبلاد آشور العناصر الاساسية التي تبقي قواتها المسلحة قوية حينا وذلك بتأمين المنطقة التي هي مصدر المعادن والخيول[١٨] • أما المنطقة الشمالية الغربية فان كلا من تجلات بلاصر الثالث وسرجون الثاني قد أدركا وأعطيا الاهمية الكبرى لمسألة تأمين الخط التجاري المهم في الغرب والذي كان يمر في كركميش (Carchemish) • وهذا بالطبع جعلهما يصطدمان بمصالح كل من فريجيا وأرارات • ولكن نجاح الجيوش الآشورية في شتى ميادين القتال مكّن الدولة الآشورية من تأسيس بعض مقاطعاتهم الهامة في هذه المنطقة أمثال مقاطعتي كركميش وقوي (Que) وتابال

(16) *ibid*, I, nos. 766, 784.
(17) H.W.F. Saggs, *The Greatness that Was Babylon* (New York, 1962), p. 113.
(18) Luckenbill, *op. cit.*, II, 6.
(18) Luckenbill, *op. cit.*, II, 99.

Tabal [١٩] • وضمنت حملـــة سرجون في سنة ٧١٤ ق•م• غزو المنطقة المعروفة بـ كمانو (Kammanu) بعاصمتها الاقليمية مليد (Meliddu) التي كانت مركزا لتشعب شبكة من الطرق مكنت الآشوريين من السيطرة عليها ببسط نفوذهم على طريق طرسوس ـ تيانا ـ مزاكا (Tarsus-Tyana-Mazaka) حتى نهـر قزيل (Halys) [٢٠] • وبسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية الكبرى في الغرب فقـــد تعاظم التأثير الآشوري في الشمال الغربي ووصل اقصاه زمن سرجون الثاني وقبل نهـــاية حكم هـــذا الملك فان القبائل البربرية الكاسحة امثـــال السيميريين اخذوا ينصبون من منطقـــة القفقاس مهددين الحدود الشمالية الغربية لدولة آرارات [٢١] • وحملة سرجون الثاني الاخيرة الى تابال (سنة ٧٠٥ ق•م•) لابد وانها نجحت في ايقاف القبائل السيميرية واثرت عليهـــا تأثيرا سيئا[٢٢] • وفي خلال السنوات الاولى لحكـــم سنحاريب لم نقرأ عن اية حملة جردت ضـــد المنطقة الشمالية الغربية مما يدل على ان الاستقرار كان سائدا هناك ولو بصورة مؤقتة • ومن قبـــل كل هذه فقد قاد تجلات بلاصر الثالث وسرجون الثاني جيوشهما مرات عديدة الى الغرب لاخضاع القبـــائل الثائرة في سورية وفلسطين • وكان التهجير الاجماعي لكثير من سكان هـذه المناطق الشكل الواضح في سياسة كل من هذين العاهلين كوسيلة لاستتباب الامن[٢٣] • وقد اخبرنا العهد القـــديم بان خليفـة تجلات بلاصر الثالث اي شلمانصر الخامس قاد حملة الى نفس المنطقـة أيضا[٢٤] • وان أهمية هـــذه المنطقة التجارية كمفتاح حيوي الى خطوط البحر الابيض المتوسط التجارية شيء معروف منذ أقدم الازمنـة • وان السيطرة على المدن المهمة في هذه الاصقاع كانت من غايات الملوك الآشوريين وخاصة في هـــذا العصر • فقد أخضع تجلات بلاصر الثالث المنطقة خلال حكمه ولكنها ثارت سنة ٧٢٠ ق•م• مما جعل سرجون يسرع في اخماد حركتها واحتل كلا من حماث (حماه الحالية) في سوريا وغزة في فلسطين المدينتين المهمتين على طريق التجـارة السورية ـ المصرية[٢٥] • والظاهر ان سرجون قد ادرك عقم سياسة ترك الامراء المحليين في حكم المدن في سوريا وفلسطين حيث ان اخلاصهم كان غير دائم وقلق وما كادت القوات الآشورية تنسحب عن أراضيهم حتى عادوا الى العصيان تحت التأثير المصري ، فعمـل عـــلى اســـتبدالهم بحكـــام آشوريين[٢٦] •

وبذلك صار من الواضح في نهاية حكـم

(19) *Ibid.*, II, 8, 25; Saggs, *op. cit.* pp. 116 ff.

(20) Luckenbill, *op. cit.*, II, 26.

(21) L. Waterman, *Royal Correspondence of the Assyrian Empire*, (Ann Arbor, 1935), II. 112.

(22) Olmstead, *Western... op. cit.*, pp. 156-157, no. 41-42.

(23) Luckenbill, *op. cit.*, II, 769 ff; II, 4 ff.; Olmstead, *History..., op. cit.*, pp. 182-220.

(24) II Kings, 17 : 1 ff; Isaiah, 36 : 37.

(25) Luckenbill, II, 27 ff.

(26) *Ibid*, II, 29-30; Olmstead, *Western... op. cit.*, pp. 57-59.

سرجون الثاني ضرورة المحافظة على الاستقرار على طول الحدود مهما كان عنفوان القوة الآشورية وذلك لتأمين الخطوط التجارية مفتوحة لتجهيزات المعادن والخيول دونما انقطاع عن بلاد اشور • كما أن القبائل البربرية صارت اكثر تهديدا من قبل لسلامة الامبراطورية • وان التضخم الذي لوحظ بصورة جلية في أيام سرجون الثاني الاخير يدل دلالة لايساورها شك على المشاكل الاقتصادية التي كانت تشكو منها الامبراطورية(٢٧) • ويمكن ان نرى مختلف أنواع الضغط التي اثرت في سنحاريب وادت الى انحطاط القوة الآشورية ، فالنظام الاداري الرصين الذي أدخله تجلات بلاصر الثالث وسار عليه وثبته سرجون الثاني وخلفاؤه أدى دون شك الى استقرار المقاطعات ولكنه لم يُجد نفعا في ايقاف سيل القبائل البربرية التي اخذت تهدد الحدود الآشورية • واذا كانت الحملة المصرية أيام أسرحدون هي آخر حملة هجومية توسعية آشورية في القرن الاخير قبل سقوط نينوى ، فاننا اذا ما درسنا الظروف التي لابستها والاسباب التي أدت لها ، نرى ان فراعنة مصر قد اخرجوا ملوك آشور عن صوابهم عن طريق تدخلهم المستمر في شؤون سوريا وفلسطين والمدن الفينيقية الى الحد الذي رأوا فيه ان ليس هناك بديل عن القيام بغزو مصر في عقر دارها لتأديبها مهما كلف الثمن • وان ثورة هازاكايا Hezekiah ومساعدة المصريين له جعلت سنحاريب في وضع حرج فضلا عن مساعدة الاعراب الذين يحمون خطوط التجارة التي تمر من الصحراء الى البحر الابيض المتوسط • وان كثرة تدخلات مصر واخلالها بالمصالح الآشورية في المنطقة لمدة طويلة قبل غزو آشور لها يدل دلالة واضحة على ان الآشوريين لم يكونوا ليرغبوا في القيام بتلك المغامرة وانهم لم يقوموا بغزو مصر الا عندما رأوا ان لا وجود لحل غيره(٢٨) • اضف الى ذلك ضعف الفراعنة المصريين في هذا الوقت وعدم قدرتهم على مواجهة الآشوريين باحتلال أي جزء من فلسطين ، فاكتفوا في اثارة القبائل العربية وامراء سوريا وفلسطين • ولكن محاولات سنحاريب في ضرب مصر لم تكن ناجحة ولا نعرف هل ادرك النتائج الوخيمة التي قد تجرها عليه مثل هذه المغامرة أو ان انشغال جيوشه في بلاد بابل كانت قد انهكته عسكريا واقتصاديا(٢٩) •

ولما كانت الحوليات الآشورية لا تعترف مطلقا بأية اندحارات كانت قد منيت بها جيوشها فمن الصعوبة بمكان اذن معرفة الوقت الذي اخذت فيه المقاطعات الآشورية في التحرر من ربقة السيطرة الآشورية • ولربما كانت بدايتها في الشمال والشمال الغربي خلال حكم سنحاريب • وعلى الأرجح فان الدويلات الحاجزة

---

(27) Olmstead, *Western...*, pp. 168 ff.

(28) Luckenbill, II, 240, 358, 536, 817. Herodotus II : 141; Olmstead, *History... op. cit.* p. 309.

(٢٩) لقد اخبرنا هيردوتس بان سنحاريب قد وجه جيوشه نحو مصر ولكن تفشي الطاعون بين قواته حمله على الانسحاب ولكن الحوليات الآشورية لا تذكر أي شيء عن هذه الحملة • وكانت للبعض امثال اولمستد دليلا كافيا على غزو سنحاريب لمصر وفشله •

(Buffer States) بين كل من ارارات وآشور قـــد تحررت من نفوذ الاثنين وادعى البعض ان أولاد سنحاريب قد فروا الى ارارات بعد ان قتل ابوهم[٣٠] •

ولذلك فمن المحتمل بان الاحتلال الآشوري في الشمال قد تقلص الى درجة بحيث تمكن بـه المجرمون من الهرب في ذلك الاتجاه ليفلتوا من العقاب •

وان علامات الضعف الداخلية والخارجية بدأت في الظهور علانية زمن أسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق•م•) وان الرسائل الى الملك من الموظفين في شتى أرجاء الامبراطورية تشير الى الضعف والتدهور في الادارة[٣١] • وأسرحدون كان كثيرا ما يأخذ بنصائح الارباب وخاصة الالهة عشـتار الأربيلية (Ishtar of Arbela) ويطلب منها العون والمساعدة لدرء الاخطار المحدقة به • وان أدعية هذا الملك واسئلته والتي وصل الينا منهـا الكثير ان دلت على شيء فانما تدل على ما وصلت اليه الحالة العامة في زمنه وقلقه المتزايد منها[٣٢] • فكثيرا ما كان يشكو من تعاظم وتزايد هجمات القبائل البربرية على حدود امبراطوريته وفعـلا ففي عهـــده تحالف السيثيون مـع السيميريين واخذت تسقط في أيدي جحافلهم المتقدمة الكثير من المناطق التابعـة لدولة ارارات واخـــذوا في مهاجمة المقاطعات الآشورية الشمالية الغربية بكل عنف وشدة • ثم انفصلت تابال وهيلاكو (Hilakku) عن الدولة الآشورية قبل نهاية حكم اسرحدون• وربما كانت خسارة أسرحدون لهذا الاقليم الغني السبب في تغلغه داخل المناطق الميديـة امـــلا في الحصول على مصدر جديد للخيول والمعادن[٣٣] ، ويظهر ان أسرحدون لم يدرك أهميـــة المناطق الشمالية الغربية لامبراطوريتها وآسيا الصغرى • وعوضا عن الدفاع المستميت عن هذه المناطق فقد وجه كل ما عنده من القوة العسكرية لغزو مصر• فالحوليات تخبرنا بان القبائل البربرية كانت تهدد وتطغى على المناطق الشمالية والشمالية الغربية ، وفي زمن الملك آشور بانيپال كانت هذه المناطق قد أوقفت دفع الجزية وما عليها من الالتزامات الى الدولة الآشورية • ولا نعلم السبب الرئيسي في عدم اهتمام أسرحدون بحماية هذه المناطق في الوقت الذي نعرف فيه انه لم تكن لتنقصه القوة التي اظهرها في غزواته لكل من مصر واخضاعه لشـوبريا Shupria [٣٤] • وعلى كل حال فربما كان المجد الذي اعتقد اسرحدون بانه سوف

(30) CAH, *op. cit.*, p. 71, 79; Olmstead, *History... op. cit.*, p. 312.

(31) Waterman, *op. cit.*, H. 679-681, 716. etc.

(32) E.J. Banks, "Eight Oracular Responses to Esrahaddon", AJSL, XIV (1897-98), pp. 267 ff; A. Delattre, "The Oracles of of Esarhaddon", *Babylon and Oriental Records*, III, (1889), no. 26 Knudtzen, *Assyrische Gebete an den Sonnengott*, nos. 101-102; S. Strong, "On Some Oracles of Esarhaddon" and Ashurbanipal", *Sonderabdruck aus den Beitragen zur Assyriologie und Vergleichenden Semitischen Sprachwissenschaft*, II, (1893), pp. 632 ff. Luckenbill, II, 618.

(33) Luckenbill, *op. cit.* II, 540-566; Jorgan Laessoe, *People of Ancient Assyria*, transl. by F.S. Leigh-Browne (New York, 1963), pp. 177 ff. Saggs, *op. cit.*, p. 126.

(34) Luckenbill, II, 554 ff.; 593 ff.

يبلغـه ، فيما لو نجحت حملته على مصر ، كان شغله الشاغل في وقت كانت بلاد آشور فيه مهددة بأعـــداء يعرضون مصالحها الرئيسية وخطوط تجارتها الحيوية ومصادر تجهيزاتها لخطر داهم كبير • وتدهورت الحالة زمن ابنه آشور بانيپال (٦٦٩ ـ حوالي ٦٣٠ ق•م•) داخليا وخارجيا • فلقد دفع السيثيون القبائل السيميرية امامهـــم فاجتاحت جموع الاخيرة المتدفقة بلدان فريجيـا وليديا • فطلب كايجيس (Gyges) ملك ليديا (گوگو في المصادر الآشورية) العون من الملك الآشوري[٣٥] • ولكنه سرعان ما اختفى عـــن الانظـــار • وتخبرنا الحوليات بان الجيـــوش الآشورية قد اظهرت كفاءة لا بأس بها في المنطقة الشمالية الغربية الأمر الذي أوقف هجمات القبائل البربرية ومنعهم من دخول سوريا[٣٦] ، امـــا القبـائل الميـــدية فكانت تقوي نفسها وتحكـــم استراتيجياتها من حدود عيـلام حتى النهـــاية الشمالية الشرقية وبذلك تكون قد قطعت بعصيانها مصدرا آخر ربما كانت تعتمد عليه بلاد آشور أيضـــا للخيل والمعادن[٣٧] • وقد يكون زوال عيلام وسقوط دولتهم نتيجة لضغط القبائل الميدية أمر سهّل على الآشوريين الزحف بنجاح عـلى شوشة ودق معاقل العيلاميين دونما صعوبة تذكر• ففي عهد آشور بانيپال خسرت آشور مصر وبعض المدن الفينيقية على البحر الأبيض المتوسط• ولابد وان الدولة الآشورية عنـــد وفاة آشور بانيپال كانت قـــد استنزفت معظم قواتها وفقدت أغلب خطوط تجارتهـــا وضيعت مصادرها في المعادن والخيول • اما في عهد خليفته آشور ـ اطيل ـ ايلاني (Ashur-etil ilani) فقـــد استقلت معظـــم المقاطعات وعلى رأسها المدن الفلسطينية وبلاد بابل •

واذا القينا نظـــرة على العصر الاخير من حلقة تاريخ الدولة الآشورية الطويل نجد سلسلة من الانقلابات العسكرية فتجلات پلاصر الثالث قد أتى الى العرش عن طريق القوة حيث لم يكن له حق شرعي في الملك ولم يكن يعزى الى عائلة مالكة سابقة • ولابد وان ذهب باغتصابه للعرش بعض الضحايا من الذين عارضوا خطوته وأرادوا ايقافه عند حده ولو ان الحوليات الآشورية التي هي مصدرنا المهم لم تذكر لنا أي شيء من هذا القبيل • ولكن ما ان مضت أعوام قليلة على وفاة تجلات بلاصر الثالث واعتـــلاء ابنـــه شلمانصر الخامس العرش ، والذي كان دون ابيه في الدهاء والمهارة على ما يبدو ، حتى بدأت عناصر اخرى مشبعة بحب السيطرة والحكم بالتحرك • وفعـلا نجحت بزعامة شخص لا نعرف اسمه الحقيقي من احداث انقلاب عسكري جديد • وبعد نجاح حركته العسكرية اتخـذ قائد الحركة هذا اسم سرجون (شارروكين (Sharrukin)) ومعناه الملك الشرعي اسما رسميا له • وان افتراض خسارات مادية وضحايا بشرية نتيجة هـذه الحركة أمر معقول • ويظهر ان هنـــاك محاولات لاغتصاب الملك من أصحابه الشرعيين في نهاية حكم الملك

---

(35) *Ibid.*, 849, 909.
(36) *Ibid.*, 779, 781; *CAH*, *op. cit.*, p. 117.
(37) Laessoe, op. cit. p. 124; CAH op. cit. p. 119,

آشور بانيبال أدت الى مصيره الغامض ولو لم يكتب للحركة النجاح(٣٨) . فهناك من قد التزم جانب ولي عهد الدولة ، وهو القائد (الراب شاقه (Rab Shaqi)) سن ـ شوم ـ ليشير (Sin-Shum-Lishir) قد احبط المحاولة وتوج آشور ـ اتيل ـ ايلاني ملكا . والتنقيبات الاخيرة التي اجريت في كالح (نمرود) كشفت عن ان الطبقة المؤرخة الى نهاية حكم الملك آ شور ـ بانيبال قد خربت نتيجة حرائق (٣٩) . فالثورة ربما كانت عنيفة للغاية نتجت عنها معارك أثرت في مدن كثيرة منها نمرود . وخلال فترة حكم آشور ـ اتيل ـ ايلاني وفي وقت كانت فيه بلاد آشور أحوج من أي وقت مضى الى تلاحم القوى وتوحيد الكلمة فان سن ـ شار ـ اشكون (Sin-Shar-Ishkun) أخ الملك وابن آشور بانيبال الثاني وحاكم الجنوب المتمركز في نفر (Nippur) قد تحدى سلطة اخيه في بلاد بابل واعلن نفسه ملكا على كل البلاد وتحرك الى الشمال منحياً أخاه عن العرش بقوة السلاح(٤٠) . هذا الى جانب مقتل أحد الملوك الآشوريين في هذه الفترة (العصر المتأخر) على يد اولاده بمساعدة بعض ضباط الجيش الذين اعلنوا العصيان على خليفة والدهم وأخيهم الصغير أسوحدون(٤١) . كل هذه الانقلابات ساهمت بصفة كلية في اضعاف قوة الدولة وفي الانقلاب الاخير ضمن آشور بانيبال وان لم يحقق غاياته وربما اقتصر على مقتل الملك نفسه قد أدى الى خسائر جسيمة .

وفي العصر المتأخر كانت مشكلة ولاية العهد من المشاكل التي جرت على الدولة ويلات كثيرة . ففي الوقت الذي كان سنحاريب قد عين ابنه اسرحدون الذي لم يكن هو بالأكبر ، وليا للعهد ، أثار ضغينة ابنائه الآخرين الذين شهروا السلاح في وجه الملك الجديد حال مقتلهم لابيهم وظلوا حتى وفاة اسرحدون يشكلون خطرا اقضى مضجعه ، واسرحدون نفسه لم يتلاف الخطأ الذي وقع فيه والده بل على العكس اظهر حبه وعطفا على ابنه الاصغر آشور بانيبال طيلة ايام حياته وعينه وليا للعهد وطلب من ابنه الاكبر شيمش شيموكين ان يطيع كلمة اخيه ويخلص له ويدافع عنه(٤٢) .

وكانت نتيجة تقريبه للابن الاصغر عكس ما كان يتوقع ، فقد بدأت الخصومة بينهما بعد

---

(38) Sami Said Ahmed, *Southern... op. cit.* pp. 121-122; Johns, *Assyrian Deeds... op, cit.* IV, 807, and R. Borger, Wien Zeitschraft fur die Kunde Morgenlandes, 55, (1959), no. 36.

(39) M. Mallowan, The Excavations at Nimrud, Iraq, XVI, (1956); p. 60 ff.

(40) Sami Said Ahmed, *Southern...*, *op. cit.* p. 132.

(41) Luckenbill, II, 502; H.P. Schnabel, Berossos und die Babylonische-Hellenistische Literatur (Leipzig, 1923); *Babylonian Chronicle*, CT, XXXIV, 46 ff. col. iii, 34 ff; II Kings, 19: 36 ff; II Chronicles, 32: 21 Josephus, *Antiquities of the Jews*, X, 1,5; B. Meisner, "Neue Nachrichten uber die Ermordrung Sanheribs und die Nachfolge Asarhadon"; *Sitzungberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften*, XI, (1932) pp. 251-62; Sami Said Ahmed, *Southern... op. cit.* p. 588 ftn. 48, 49.

(42) Sami Said Ahmed, Ashurbanipal and and Shamash-Shum-Ukin during Esarhaddon's Reign", Abr Nahrain, Vol. 6 (1965-66), pp. 55-62.

مدة قليلة من وفاة والدهما سنة ٦٦٩ ق٠م٠ والتي وصلت الى أوجها بالثورة التي اعلنها الاخ الأكبر في بابل متحديا بها سلطة اخيه ايما تحد ٠

وقد اتبع الآشوريون كما تظهر حوليات ملوكهم والمنحوتات الآشورية المتنوعة سياسة قاسية جدا سواء في معاملة من وقع في ايديهم من اسرى الحرب من أعدائهم أو سكان الاراضي والمدن التي كانوا يفتتحونها فاتبع بعض الملوك الآشوريين سياسة التهجير الاجماعي (Mass Transplantation) وذلك بنقل سكان منطقة بكاملها الى مكان بعيد عن موطنهم الاصلي ويختلفون في الغالب عن سكانه في اللغة والعادات والتقاليد وما الى ذلك ٠ فنعرف مثلا عن نقل سكان مناطق برمتها من مدن سورية الى شمال العراق أو أقوام عبرية من فلسطين الى العراق وما الى ذلك ٠ فهذه العادة بالطبع والتي اجبرت الشعوب التي قاستها على تطبيقها أدت الى كراهية هذه الامم للآشوريين المحتلين فعملت على التخلص من ربقة سيطرتهم بكل صورة ٠ ويفتخر الملوك الآشوريون ايما فخر بأعمال القسوة الوحشية التي كانوا يمارسونها ضد سكان المناطق التي يحتلونها٠ فنقرأ عن تقتيل اجماعي وبيع السكان عبيداً وسلخ جلود الرجال ونشرها على اسوار المدينة وقطع الرؤوس وتسييخ آخرين (Impaling) والتمثيل والتنكيل بالاسرى وما الى ذلك من الاعمال الوحشية ٠ وهذه الاساليب الشاذة تؤدي بالطبع الى اشمئزاز الشعوب التي تحت الاحتلال منهم واستماتتها في التخلص من ربقة احتلالهم ومقاومته ٠ ولنا من قائمة التعذيبات التي سطرها أسرحدون في معاهدته مع راماتايا (Ramataia) اليدي ملك اوروكازابارنا (Urukazbarna) والتي سيطبقها فيه ان هو خالف نصوص المعاهدة ، خير مصدر عن أنواعها المختلفة(٤٣) ٠

ولو ان هناك من اعتقد بأن الملوك الآشوريين في الواقع قد بالغوا في حولياتهم عنها وان هذه التعذيبات التي ذكرت في الحوليات وصورت في المنحوتات ما هي الا وسائل دعائية واعلامية لبث الرعب في نفوس الشعوب الخاضعة تحت سيطرتهم أو المعادية لهم ، على انه في تلك الفترات بالذات كانت القبائل المختلفة تنقل حسب مشيئتها الى أية منطقة تختارها دون النظر الى المسافة(٤٤) ٠

وهذا أمر مؤكد على ضوء الهجرات الاجماعية التي بدأت منذ القرن الثاني عشر ق٠م٠ واستمرت حتى نهاية الدولة الآشورية ٠ ولكن الغالبية من المواطنين الذين شملتهم سياسة التهجير الاجماعي الآشوري كانت من القبائل المستقرة منذ زمن بعيد ولها مدن عامرة في سورية وفلسطين ووصلت الى درجة عالية من التحضر والمدنية(٤٥) ٠ . . . . . .

وان تهجير الكثير من مواطني المدن البابلية ألحق أضرارا بالغة في السكان المهجّرين وولد ضغينة وكراهية ضد الآشوريين المحتلين ، الى جانب كون من حل محلهم من القبائل الأقل متحضرا ، والذين ساقتهم السلطات الآشورية

(43) D.J. Wiseman, "The Vassal Treaties of Esarhaddon", Iraq XX, (1958), part I.
(44) CAH, *op. cit.* p. 41.
(45) Luckenbill, I, 770 ff; II, 4-5, 14, 33, 31; Olmstead, *History... op. cit.* pp. 187-188, 208-9.

للسكن في مواطنهم الأصلية ، لم يكونوا بأقل على وجود أحزاب أو تكتلات يمكن تمييزها اشمئزازا وكرها للحكم الآشوري(٤٦) • وقد ولكن بدراسة المصادر الآشورية من العصر اقترح البعض بأن تهجير الكثير من سكان سوريا المتأخر نلمس شيئا من هذا القبيل • ففي بلاد وفلسطين قد ولّد فراغا لم يشغله أحد حتى آشور وفي عصورها الأخيرة بالذات يمكننا تمييز هجرة بعض القبائل العربية من الجنوب اليها(٤٧) • كتلتين غير رسميتين لعبتا دورهما في بلورة وقد أصبح واضحا بعد ذلك بأن تهجير القبائل سياسات الملوك الآشوريين وتوجيهها للغايات الآرامية منذ أيام ملوك القرن التاسع ق•م• التي رسمتاها لها وهما الحزب الديني والحزب الآشوريين لم يساهم أبدا في استتباب الأمن العسكري • فافترض البعض بأن سرجون الثاني واشاعة الاستقرار في ربوع الامبراطورية خاصة قد تمكن من اغتصاب العرش لانه قد اعتمد على في العصر المتأخر وما ذلك الا لخصائص تلك مناصرة الحزب الديني الكهنوتي الذي تأثر به الزمرة الفريدة • فسرعان ما حصل هؤلاء كثيرا بل لم يكن راضيا البتة عن السياسة التي الآراميون على قوة وسيطرة تجارية كبيرتين في انتهجها شلمانصر الخامس وذلك باجبار المدن المناطق التي استقروا فيها وبرهنوا على قدرتهم المقدسة أمثال آشور وحران (Harran) الفائقة في نشر حضارتهم تحت ظروف متنوعة على دفع الجزية الأمر الذي أدى الى أن تفقدا وصارت لغتهم شائعة بل وشبه رسمية خلال ميزتهما وطابعهما الديني(٥٠) • وقد عزي اتجاه العصر السرجوني(٤٨) ، ولو لم يكن لدينا أي سنحاريب اللا أبالي نحو الدين البابلي والآلهة دليل على اخلاصهم أو عدم اخلاصهم للسلطات الجنوبية الى حقيقة تفضيله وميله الى الحزب الآشورية • أما سيطرتهم على التجارة في العصر العسكري في الوقت الذي ينجح فيه الحزب الآشوري المتأخر فقد كانت واضحة من الرسائل الكهنوتي ـ الديني في اجتذاب اسرحدون اليه • الملكية خاصة من عهد سرجون الثاني الذي كان هذا وان عدم التوافق والاختلاف في نفس العائلة يلومهم في بعضها على التضخم الذي طغى في البلاد المالكة والذي لاحظناه في حرب أسرحدون اخوته بنهاية حكمه(٤٩) ، الى جانب المعاملات التجارية الذين تآمروا على قتل والدهم وحملوا السلاح المختلفة • ضد أخيهم الملك في بداية اعتلائه العرش ، ومدى

وان لم تكن في حوزتنا أية أدلة قاطعة اهتمام اسرحدون في حل مشكلة ولاية العهد

(46) Luckenbill, II, 261-262; Olmstead, *History... op. cit.* p. 288.

(47) Olmstead, *ibid*, p. 210.

(48) CAH, *op. cit.* p. 99.

(49) Olmstead, *Western... op. cit.* p. 169.

(50) ibid, pp. 31-32, no. 22 and 27, pp. 172-173

هذا ويشك السيد Sidney Smith في حقيقة كون نجاح سرجون الثاني يعود الى مناصرة الحزب الكهنوي له • ولكنه يشعر بان تمرد المدن امثال آشور وحران قد أجبر شلمانصر الخامس على فرض ضرائب عليهم •
(CAH, III, p. 46)

قبل وفاته • فمما لا شك فيه ان معاهدة اسرحدون مع راماتايا الميدي ملك اورزوكازابارنا قد تركزت حول اختراماالاخير لوصية اسرحدون فيما يتعلق بولاية العهد وضرورة مساندته الكلية لآشور بانيبال وحزبه لكل من يشهر على الاخير السلاح • وقراءة واحدة للمعاهدة وحتى لبعض فقراتها تظهر لنا بصورة لا يخامرها الشك مدى قلق اسرحدون من ناحية والتنازع الشديد على السلطة من ناحية اخرى سواء من نفس أفراد البيت المالك الحالي أو السابق أو غيرهم :

(أحلف بأن (اذا نازع آشور بانيبال) أحد اخوته ، أعمامه ، أبناء أعمامه ، أفراد عائلته أو أي فرد من نسل أبيه أو من نسل العائلة المالكة السابقة أو حاكم أو رئيس أو مواطن آشوري أو أجنبي ....)[٥٠١] •

فالدليل مقنع للغاية على سوء التفاهم والخصام حتى ضمن العائلة المالكة الحاكمة نفسها[٥٠٢] • فشعور الملك بعدم الاستقرار ضمن حدود عاصمته وحتى عائلته وأقاربه أمر بالغ الخطورة حقا وربما نجد فيه السبب للضعف المعنوي الذي اعترى بعض الملوك المتأخرين أمثال اسرحدون وآشور بانيبال وهم رؤوس هذه الامبراطورية الواسعة الحاكمة والذين يقع على كواهلهم ادارة دفتها بكل حزم وقوة وسط عواصف العصر الهوجاء • فاهتم اسرحدون بربط نفسه بمعاهدات مع حكام المعاهدات التابعة له وهو امر جديد حسب معرفتنا وأدلتنا الحالية فعقد معاهدة مع ملك صور الفينيقي واخرى مع راماتايا وربما كانت هناك معاهدات كثيرة لم تصل الينا بعد •

ومن هذا العصر المتأخر نلاحظ ولأول مرة بصورة مؤثرة بارزة تأثير النساء وتدخلهم في شؤون الدولة[٥٠٣] • وكان التدخل منذ عصر سنحاريب متجسما في شخصية زاقوتي (نقية) Zaquti Naq'ia زوجة سنحاريب المفضلة وام اسرحدون • وكانت هذه قد أثرت في سنحاريب تأثيرا كبيرا وسار حسب اراذتها كما يظهر في الكثير من الامور • فنصب ابنه منها ، اسرحدون ، وهو الأصغر ، ولياً للعهد مما أثار غضب أولاده الآخرين من زوجاته السابقات • وزاقوتي نفسها كانت القوة الخفية المؤثرة وراء اسرحدون أيضا ونزولا عند ارادتها نصّب ابنه آشور بانيبال على عرش آشور ولم يكن هو بأكبر أولاده سنا ، غامطا بذلك حق ابنه الأكبر شمش ـ شموكين • وظلت زاقوتي مؤثرة في السياسة الآشورية لمدة طويلة خلال

(51) Wiseman, The Vassal... *op. cit.* 1. 318-322.

(52) Laessoe, *People... op. cit.* pp. 117-123.

(٥٣) ولو ان التاريخ الآشوري قد حفظ لنا اسم امرأة من قبل وهي شممو رامات ولكن ادلتنا المتوافرة حول شمموراماات (سميراميس) بانها كانت وصية على ولدها القاصر اداد نراري الثالث (٨١٠ ـ ٧٨٢ ق•م•) وادارت خلال هذه الفترة البلاد ادارة حسنة ولم نسمع عن تأثيراتها وتسييرها دفة الدولة خلال حكم زوجها شمش اداد الخامس (الدكتور سامي سعيد الاحمد ، سميراميس بين الاسطورة والتاريخ ، الاديب ، عدد ٩ ، مجلد ٢٦ (ايلول ، ١٩٦٧) ص ١٩ ـ ص ٢١ •

حكم آشور بانيبال(٥٤) • ولم يكن من أتى بعد آشور بانيبال من الملوك بالأقوياء القادرين على ادارة الامبراطورية وحمايتها في ظل تلك الظروف الصعبة ، فآشور ـ اتيل ـ آيلاني ، خليفة اشور بانيبال كان ضعيفا للغاية فلم نسمع عن خروجه لقتال ولا حتى لصيد أو قنص أو ولع في فن أو عمارة ، وربما كانت الشخصية الاسطورية ساردانا پولوس (Sardanapolos) التي تتكلم الكثير من المصادر اليونانية الرومانية باسهاب عنه وتبعتها الكثير من كتب الادب والشعر في العصور الوسطى بأوربا ، وتدعي انه من ملوك آشور المتأخرين ، وأطنبت في الكلام عن تخنثه وحبه للتشبه بمظهر النساء ، ربما كانت هذه الشخصية الاسطورية هي نفسها شخصية آشور ـ اتيل ـ ايلاني(٥٥) هذا • ثم أخذت المقاطعات الآشورية بالانفصال وانتهز جوزايا (Josiah) حاكم دولة يهودا في فلسطين الفرصة فراح يوسع حدود دويلته بعد أن أعلن انفصاله التام عن آشور(٥٦) • فاحتل مقاطعة اشدود (Ashdod) الآشورية في فلسطين وأسكن بها جماعته من فلاحي مقاطعته(٥٧) • ولو ان هناك من يؤرخ ارسال جوزايا لهؤلاء الفلاحين الى عهد الملك آشور بانيبال(٥٨) •

وفي سنة ٦٢٦ ق•م• أعلن نبوبلاصر نفسه ملكا في بابل وبدأ في توطيد دعائم ملكه ليعمل بعد سنتين تقريبا من اعتلائه العرش على تحرير الجنوب من ربقة الحكم الآشوري والخلاص منه الى الأبد بل المباشرة في ضرب الآشوريين في عقر دارهم • وقد نجح في تحالفه مع الميديين وقام الطرفان في الهجوم مع جماعات اخرى (Umman-Manda) ضمن جيوشهم على نينوى ، انتهت أخيرا باحتلالهم اياها سنة ٦١٢ ق•م• وظلت بعض القوى الآشورية في المقاومة تحت قيادة الملك آشور ـ أو باللط العاشر ثم انتهت أخيرا بالتلاشي رغم مساعدة المصريين له واختفى اسم آشور الى الأبد كقوة سياسية مؤثرة في الشرق الأوسط •

---

(54) **Hildegard** Lewy, "Nitokris-Naqia, "**JNES**" **II**, (1952), pp. 264-286.

(٥٥) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، سردانا بولوس بين الحقيقة والخيال ، الاديب ، عدد ٢ ، (شباط ١٩٦٦) مجلد ٢٥ ، ص ٢٠ ـ ص ٢٤ •

(56) Frank Cross & D. Freedman, "Josiah's Revolt against Assyria", vol. XII. 1953), pp. 56-58.

(57) J. Naveh, "A Hebrew Letter from the 7th Century", Israeli Exploration Journal, 10 (1960), no. 3, pp. 129-139.

(58) W. Hallo, Biblical Archaeologist, XIII (1960), no. 2, p. 61, no. 53.